

وإذا مضينا بعد هؤلاء البلاغيين الأعلام إلى عصر المتون والشروح وجدنا الخطيب القزويني الدمشقي داراً وتدرّساً يؤلف في البلاغة متناً طريفاً يسميه متن التلخيص، وسرعان ما يتجرد غير عالم في البلدان الإسلامية لشرحه، فيشرحه في أقصى الشرق السعد التفتازاني ويضع على شرحه السيد الجرجاني حاشيته، ويشرح المتن أيضاً عصام الدين الإسفرايني الخراساني، ويشرحه أحد علماء المغرب، ويشرحه بهاء الدين السبكي المصري. فالتلخيص تراث بلاغي عام، ليس تراث دمشق وحدها، بل هو تراث جميع البلدان العربية، وكل بلد يتجرد منها عالم لشرحه.

ومن يرجع إلى مقدمة شرح السبكي على متن التلخيص يجده يذكر أنه استعان في شرحه بثلاثمائة كتاب، وكثير منها لا نعرفه؛ لأنه لا يزال مخطوطاً محفوظاً على رفوف المكتبات الكبرى أو لأنه سقط من يد الزمن. وبما ذكره وهو مطبوع بين أيدينا كتاب البديع لابن المعتر وإعجاز القرآن للرماني والصناعتين لأبي هلال العسكري والكشاف للزمخشري وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي والوساطة لعلي بن عبد العزيز الجرجاني والبديع لابن منقذ ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر ونهاية الإيجاز للفخر الرازي والمثل السائر لابن الأثير والمصباح لبدر الدين بن مالك والبيان لابن الزمكاني والأقصى القريب للتنوخي وشرح بديعية صفى الدين الحلبي وشروح كتاب المفتاح للسكاكي من مثل شرح قطب الدين الشيرازي والكاشي إلى غير ذلك من مصادر كثيرة انتفع بها السبكي في شرحه.

ولعل في ذلك كله ما يصور مدى وحدة التراث البلاغي، فكل ما ألف في البلاغة وعلومها وكل ما اتصل بها من كتابات في النقد وعلم الأصول والنحو، كما صرح بذلك السبكي في مقدمة شرحه، يصبح مادة له في صنع هذا الشرح، وإذا أنت أخذت تقرأه وجدت علماء البلاغة معروضين عليك عرضاً علمياً دقيقاً منتهى الدقة، كل عالم وأفكاره وما اكتشفه من قواعد البلاغة ومن محسنات البديع، ولا يخطئك أبداً أن تعرف لهذا العالم أو لذاك أفكاره وآراءه داخل هذا